الحالة العشائرية في ديرالزور

واقعها ومآلاتها

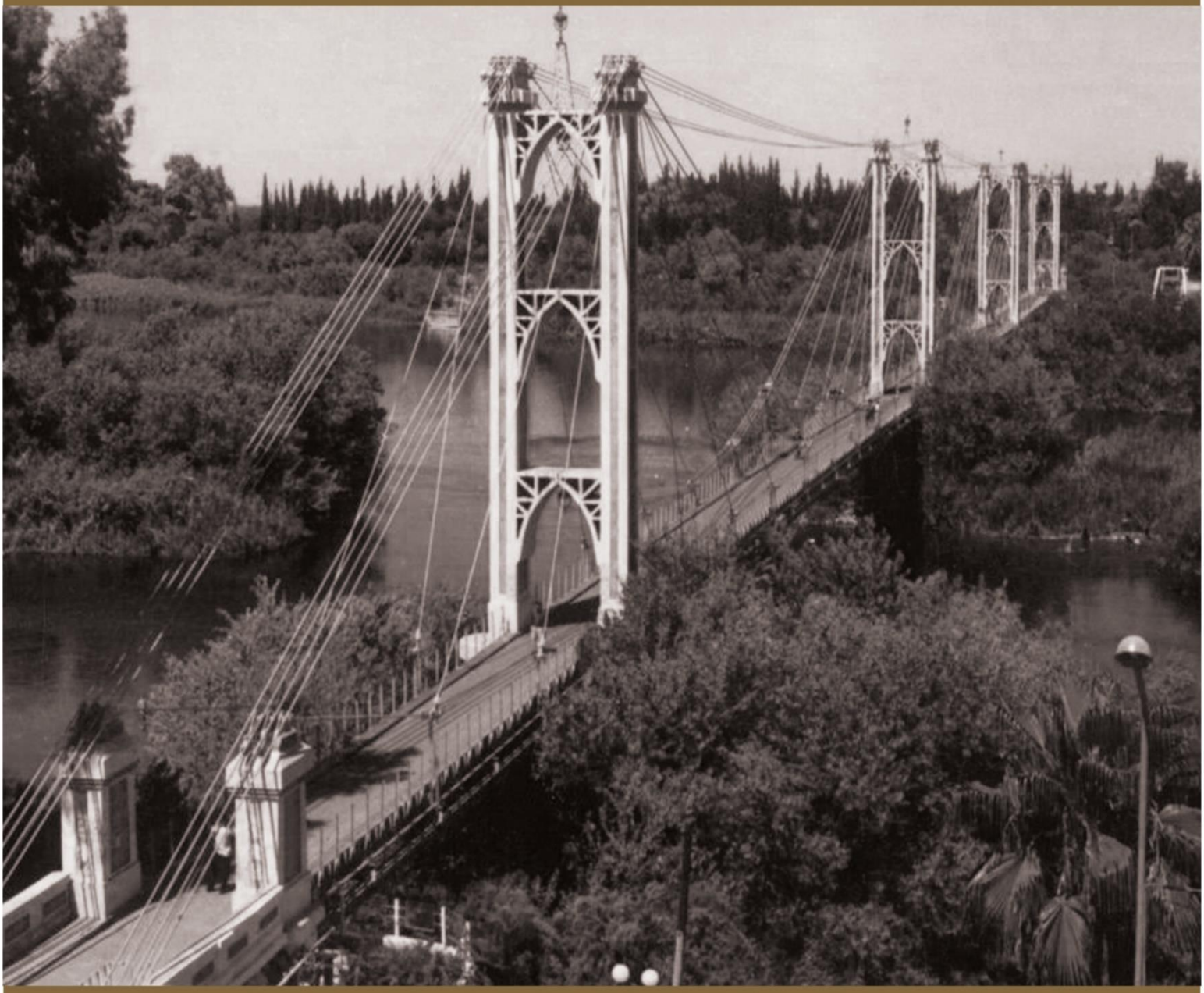

contact@deirezzor24.net www.deirezzor24.net

DeirEzzor24 DeirEzzor24 deirEzzor.24 D24net DeirEzzor 24

All rights reserved © 2020

جميع الحقوق محفوظة © 2020

المحتوى

- مقدّمة
- تعريفات ومصطلحات إجرائية:
- دير الزور سرد تاريخي وجغرافي
- العشائرية والبنية المجتمعية لـ دير الزور
- العشائر في دير الزور وخريطة توزّعها
- العشائر في دير الزور وعلاقتها مع القوى العسكرية
- العشائر في دير الزور وحركة التشيّع
- استقطابات القوى الدولية (إيران – أمريكا – روسيا) في دير الزور
- العشائرية ضمن توازنات القوى ومستقبل الملف العشائري في دير الزور
- خاتمة/ توصيات ومقترحات

الحالة العشائريّة في دير الزور واقعها ومآلاتها

العكيدات والبقارة (١)

تنويه هام :

المعلومات الواردة في البحث أدناه قام بها منظمة سام للتنمية بالإشتراك مع شبكة ديرالزور 24 ومصادرها الميدانية , البحث اعتمد على التواصل مع عدة مصادر عشائرية مختصة في المنطقة ومصادر عارفة بالأنساب والتاريخ القبلي , الأمر الذي ساهم في بلورة الصورة الأخيرة لهذا البحث بجزئه الأول . علماً أن البحث سوف يكون له أقسام أخرى بوقت قريب وسوف يكون أكثر تعمقا بحيثيات المجتمع العشائري في محافظة ديرالزور وفهم تركيبته بشكل أكبر .

ملخّص تنفيذي

يرتكز هذا البحث على محاولة لفهم الحالة العشائرية في بيئة ومجتمع عشائري، وهو مجتمع دير الزور السوريّة، والتي تتصدّر الصراع في سوريا بين مختلف القوى النافذة الإقليمية والدولية ومن خلفها القوى المحليّة، وتتناول واقع ومآلات الحالة العشائرية، عبر تحديد وفهم الحالة العشائرية في بيئة دير الزور، ومن ثمّ إبراز علاقة العشائر مع مختلف القوى الإقليمية والدولية والمحلّية, حيث تبدو دير الزور عقدة الأحداث التي تمرّ عبرها الأحداث الأخرى في الصراع السوري، حيث يُحاول الجميع الوصول إليها.

يُنظر إلى العشائرية والحالة العشائرية من قبل جميع القوى أنّها قوة "رجعية" وتتعامل معها من منطلق براغماتي، دون أن يحاولوا الوصول إلى محاولة فهم هذه الحالة وترك المنطلقات النظرية قبل التعامل معها، ومعرفة نقاط الاستناد، وطبيعة المنطقة، ما يُهدّد بأن تتحوّل الحالة العشائرية إلى مُشكلة. ويُحاول البحث في النهاية تقديم مجموعة مقترحات وتوصيات للقوى النافذة هناك..

مقدّمة

كانت العشائريّة كرابطة مجتمعية حاضرة دوما في دير الزور، إذ لا يُمكن الحديث بالكاد عن مجتمع غير عشائري، لِما للعشائريّة من تجذّر يمتدّ لمئات السنين، وقد حاولت القوى المُتعاقبة في العصور الحديثة الاستفادة من الثقل العشائري هناك، ابتداء من العثمانيين ومرورا بالفرنسيين والحكومات

السورية المتعاقبة بعد الاستقلال ومرورا بوصول حزب البعث إلى سدّة الحكم وبخاصة بعد انقلاب الأسد الأب فيما أسماها بـــ "الحركة التصحيحية"، ووصولا إلى الأسد الابن.

أدركت القوى المختلفة أهميّة العشائر، لكن عبر تغيير أدوارها، فمن جهة كانت تُمعن في إضعافها لئلا تتحوّل إلى منافِس للسلطة، ومن جهة أخرى تلجأ إلى منحها بعض المزايا، كغضّ الطرف عن عمليات التهريب التي يقوم بها أبناء هذه العشائر في المناطق الحدودية، وغضّ الطرف عن سلاح العشائر، ولأجل موازنة هذه المعادلة كانت تُساهم في تسليط العشائر على بعضها البعض عن طريق النزاعات بينها أو بمنح مزايا لواحدة دون أخرى.

وقد فهم حزب البعث هذه المعادلة جيّدا وحاول الاستفادة منها، فحاول إيلاء الأهميّة لوجهاء العشائر من الدرجة الثانية والثالثة وأحيانا من عشائر ثانوية، عن طريق منحهم مناصب في الحزب وترشيحهم إلى قبّة البرلمان، أو تعيين بعضهم في مناصب إدارية، وذلك في المرحلة الأولى من بروزه، ولجأ بعدها إلى الوصول إلى الشخصيات العشائرية من الدرجة الأولى أيضا والتي لها ثقلها الاجتماعي والعشائري، فتكاد لا تخلو دورة برلمانية دون وجود شخصيات عشائرية من الصف الأول.

وقد وعت الأطراف المختلفة في الصراع السوري بدءا من نظام الأسد والمعارضة السورية المدعومة تركيّا، وكذلك قوات سوريا الديمقراطية هذه الأهمية، ووعت القوى الدولية والإقليمية كالتحالف الدولي ممثّلا بأمريكا وإيران وروسيا هذه الأهمية أيضا، محاولين استمالتها، لما لها من تأثير على كتلة بشرية ودور، سواء في الاستقرار أو قلب للموازين لدرجة كبيرة في مناطق نفوذها.

يُحاول هذا البحث تقديم عرضٍ للحالة العشائرية في دير الزور ومحاولة فهم علاقة العشائر مع مختلف القوى، وفهم تركيبتها، وتقديم توصيات في النهاية للأطراف المعنية، بما يضمن خصوصيّة هذه العشائر كمجموعات بشرية متمايزة، لها ثقافة ولغة وإرث مختلف وغني ينبغي التعامل معه بمنطق، بحيث لا يتم التعامل مع هذه القوى كأدوات لتنفيذ الأجندات المختلفة، بل التعامل من منطق المصلحة العامة والحفاظ على خصوصيتها وعدم الاكتفاء بالتوصيات التنظيرية الفوقية.

وقد أثبتت الحقائق التاريخية أنّ الدولة الحديثة كمفهوم غربي لم يستطع أن يؤسّس لمفهوم جامع وهوية وطنية جامعة خارج المجتمعات الغربيّة، وذلك أنّها كانت في الغرب عبارة عن مخاضات

تاريخية، بينما كانت هنا عبارة عن بنية مؤسّسية فوقية، لم تستطع تقديم تجربة هجينة تتناسب والواقع الاجتماعي المختلف.

وذلك دون أن يتبنّى البحث الترويج للثقافة العشائرية، وإنما تركيزه على الوقوف على هذه الخصوصية دون التفكير فيها كأداة، كما حصل ويحصل على مرّ العقود الطويلة في التاريخ الحديث، وإنما تقديم مجموعة معطيات بالإمكان الاستئناس إليها، لعدم تجاوزها أو محاولة استخدامها كمطية[1].

تعريفات ومصطلحات إجرائية:

العشيرة والقبيلة:

العشيرة: نورد هنا تعريفا للباحث عباس العزاوي، حيث يفرّق بين مفهومي العشيرة والقبيلة، فالعشيرة تتألف من عدة أفخاذ أو بيوت وتعيش مجتمعة بالوجه المُتعارف، أو قد يتفرّع الفخذ الواحد إلى عدة أفخاذ فرعية، بناء على تقادم العهد في بناء البيت، فيتكاثر أفراده ويتشعّبون بتزايد نفوسهم وحينئذ يتسمّى ما كان قد تُسمى بالفخذ أو البيت (بالعشيرة). وهذه قد يتساهل في تسميتها فيُقال لها (قبيلة).

القبيلة: أما بالنسبة للقبيلة، فيورد العزاوي أنّ الجماعة العربية تتألف من عدّة عشائر، بأن تكتسب ضخامة وسعة في تكوّنها، وحينئذ يُقال لها (القبيلة)، وقد يتساهل في التعبير فتُسمى العشيرة باسم القبيلة، وهذه لا تفترق عن العشيرة إلا في الرياسة العامة، بأن يكون رؤساء العشائر منقادين لرئيس القبيلة، وقد يصحّ التعبير إذا قلنا انّ القبيلة عشيرة موسّعة، فهي لا تختلف في حكمها عن العشيرة وحينئذ تكون الكلمة واحدة.

وهذه لا تكون المسؤولية العامة فيها إلا في المطالب العظمى، فهم مُتناصرون فيما بينهم، وكذا رئيس القبيلة هو واسطة التفاهم مع الحكومة دون رؤساء العشائر[2].

[1] تم الاستناد إلى بعض الآراء بطريقة غير مباشرة وبتصرّف من حديث د.هشام داوود، الباحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية في المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية، وذلك ضمن برنامج "الساعة الخليجية" في إذاعة مونت كارلو الدولية ومحاور حول (دور القبيلة والعشيرة في صراع الأزمات في منطقة الخليج) حاورته الإعلامية إيمان الحمود، تجدون اللقاء عبر الرابط.

[2] موسوعة عشائر العراق - ج١ - عباس العزاوي، نسخة إلكترونية، موقع مساحة حرّة، في "خدمة الباحثين"، آخر زيارة: ٢٠٢٠/١/٥ ، ص ٦١ - ٦٤.

العشيرة والقبيلة في هذا البحث: ونظرًا للتداخل بين مفهومي العشيرة والقبيلة في غير أهل التخصّص، وحتى عند الدارسين في موضوعات غير ذات طابع تأريخي، فإنّ العشيرة أو القبيلة تؤدّي ذات المعنى وهو ما سيتم اعتماده إجرائيا في هذا البحث وسيرد بصيغ "العشيرة" ليدلّ على ذلك النظام الاجتماعي.

العشائرية: العشائرية / Tribalism هي عقليّة أو اتجاه (سياسي) يسعى إلى تحويل العشيرة إلى نوع من الحزب السياسي في مواجهة العشائر الأخرى، والاحتكام إليها في العلاقات الاجتماعية والسياسية، بهذه العقلية أو التحويلة تصبح العشائرية شكلا من أشكال الأيديولوجية يُرجع إليها ويُفسّر بها كلّ أمر مثل تشكيل الحكومات، والانتخابات البرلمانية، والبلدية والنقابية والمقاضاة، والوظائف العامة؛ المدنية والعسكرية وربما الاستثمارات والأعمال في القطّاع الخاص؛ أي كالأيديولوجيات الأخرى، مثل الأيديولوجية القومية / Nationalism والأيديولوجية الشيوعية / Communisim والأيديولوجية الإسلامية / Islamism.[٣]

والعشائرية إجرائيا في هذا البحث، تدلّ على الفكر العشائري، ومفهوم تداول نظام العشيرة كنظام اجتماعي وصلة تربط منتسبيها كرابط أيديولوجي.

عشائر دير الزور: عشائر دير الزور هي التقسيم الاجتماعي لأهالي محافظة دير الزور وريفها، إلا أنّ العشائر في دير الزور عابرة للجغرافية فلها امتدادات تصل إلى العراق، وأواصر قربى تربط بعض عشائرها بالخليج وبمناطق سورية أخرى كمحافظتي الرقة والحسكة، وتعدّ العشائر الأهم في دير الزور (عشيرة العقيدات "العگيدات" والبقّارة "البگارة" وغيرها من العشائر) وسنركّز على العشيرتين موضوع البحث الحالي.

حركة التشيع: يجب أن نلاحظ أن لفظ «الشيعة» على إطلاقه، لا يحمل بالضرورة أي مدلول قِيمي، إيجابيًّا كان أو سلبيًّا. فاللفظ لا يعني في حدّ ذاته إلا التحزب لمعتقَد ما.[٤]

[٣] صحيفة الرأي "الكويتية"، مقال بعنوان: بين العشيرة والعشائرية فرق كبير، حسني عايش، تاريخ النشر: ٢٠١٢/١/٣، نسخة إلكترونية، آخر زيارة ٢٠٢٠/١/٦.

[٤] الشيعة والتشيع: تطور المصطلح ودلالاته، مقال، موقع منشور، آخر زيارة ١٠/١/٢٠٢٠. الرابط.

في حين أنّ المقصود بـ "حركة التشيّع" إجرائيا، هي تلك الحركة التي تتبنّى نشر التشيّع والتبشير به في بيئات جديدة، لم تشهد تاريخيا تواجدا للشيعة فيها.[٥]

دير الزور سرد تاريخي وجغرافي :

تقع محافظة دير الزور في شرق سوريا على بعد نحو ٤٥٠ كيلومترا شمال شرق العاصمة دمشق، وتعدّ مدينة دير الزور مركز المحافظة، وتقع على الحدود مع العراق، ويمرّ بها نهر الفرات[٦].

وتمتد المحافظة على مساحة تزيد عن ٣٣ ألف كيلومتر مربع، وتحتل المرتبة الثانية في قائمة أكبر المحافظات السورية من حيث المساحة، بعد محافظة حمص.

ومعظم سكانها من العرب، ويربطها بباقي المدن والمحافظات شبكة من الخطوط الحديدية بالإضافة إلى مطار محلي، وتقع فيها جامعة الفرات، واشتهر أهل دير الزور في الماضي بالزراعة والتجارة، لإطلالها على نهر الفرات ووقوعها في طريق القوافل التجارية.

ومناخ المحافظة قاري صحراوي، ويتصف بشدة جفاف الجو وقلة الأمطار وارتفاع درجة الحرارة في الصيف، والبرد في الشتاء، ويخفّف نهر الفرات من أثر المناخ الصحراوي عليها.

وما تزال دير الزور تُحافظ على أسواقها التقليدية القديمة ذات السقوف المقوسة والمغطاة بالحجارة، مثل: سوق الحبوب وسوق الهال وسوق التجار وسوق الحدادة وسوق النحاسين وسوق الصاغة، وغيرها.

وتاريخيا خضعت المنطقة للحكم البابلي، ثم الآشوريين فالكلدانيين والفرس والمقدونيين، ثم الرومان، فالعرب. أصبحت المنطقة مركزا إداريا تابعا للإدارة العثمانية عام ١٨٦٧ إلى أن انسحبوا عام ١٩١٨، وتعرضت عام ١٩١٩ لاحتلال بريطاني سرعان ما تحرّرت منه في العام نفسه بعد ثورة شعبية، ثم احتلها الفرنسيون عام ١٩٢١ ولكن أهلها ثاروا مجددا لتتحرر المنطقة من الاستعمار الفرنسي، كما

[٥] وفي هذا السياق يقول الباحث المغربي منتصر حمادة (كان الفشل مصير مشروع "تصدير الثورة" لنُعاين الانخراط الإيراني الجمعي في المشروع البديل، وعنوانه "تصدير التشيّع" وهو المشروع الذي حظي بنجاحات لم يتوقّعها صنّاع القرار في المنطقة العربية).
المعضلة العربية في التفاعل مع استراتيجيات "تصدير التشيّع"، منتصر حمادة، من ملفّ خاص بـ "التشيّع في العالم العربي"، مجلة ذوات، العدد ٦٠، ٢٠٢٠. ص ١٥. رابط مباشر لـ النسخة الإلكترونية.

[٦] خريطة توضيحية من موقع غوغل خرائط، تجدونها في الرابط.

شارك أهل دير الزور في الثورة على نظام بشار الأسد، وخرجت مظاهرات في المدينة يوم ١٥ أبريل/ نيسان ٢٠١١ ضدّ النظام.

وتُعرف دير الزور بحقولها النفطية الكبيرة مثل التنك والعمر والورد ومعمل كونيكو للغاز ,والتي سيطر تنظيم داعش على أغلبها بعد معارك ضدّ "المعارضة السورية".[٧]

أما عن عدد سكان مدينة دير الزور فبلغ حوالي ١٠٢٣٩٠٠٠ نسمة، وذلك بحسب إحصائيات عام ٢٠١١، من المكتب المركزي للإحصاء منهم ٥٤٥ ألف نسمة في المدينة، وحلّت مدينة دير الزور في المركز السادس بين المدن السورية من حيث عدد السكان بعد حلب ودمشق وريفها وحمص وحماة للعام نفسه.
كما بلغت نسبة الذكور ٥١٪ من مجمل تعداد مدينة دير الزور عام ٢٠١١، كما تعتبر نسبة النمو السكاني في المدينة مرتفعة جدًا، بالمقارنة مع سائر المدن والمناطق السوريّة وتقدر بحوالي ٣٢٠٤ بالألف بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠١٠.[٨]

تقسّم المحافظة إلى ٣ مناطق: دير الزور– الميادين – البوكمال، وهذه المناطق تتوزع فيها عدة مدن هي دير الزور مركز المحافظة والميادين والقورية والبوكمال وهجين و ١١ ناحية و ١٢٨ قرية.

العشائرية والبنية المجتمعية لـ دير الزور

على الرغم من أنّ سوريا عُدّت طيلة عقود، ما بعد الاستقلال ونهاية الاستعمار الفرنسي الذي تبدو آثاره واضحة في دير الزور ومنها جسرها المعلّق، دولة حديثة، وبخاصة من حيث تبنّيها – وإن شكليا – النظام الجمهوري ذي الطابع العلماني الاشتراكي، إلا أنّها احتفظت بالبنى الاجتماعية التقليدية، وبخاصة الحالة العشائرية في مجتمعات دير الزور والرقة وغيرها.

وقد تعرّضت العشائرية كبنية مجتمعية متماسكة وصلبة لتغيّرات شتى في ظلّ المتغيّرات التي عصفت بالمنطقة وبخاصة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أنّ إعلان الكيانات السياسية الجديدة في جغرافية العشائر ورسم الخرائط، أثّر في البنية العشائرية، لكنّها لم تتداعى على الرغم من كلّ التغيّرات، وحافظت على نفسها وإن كانت طبيعة العلاقة ما بين السلطات السياسية

[٧] معلومات منشورة في موسوعة ويكيبيديا، وتجدها في مواقع متفرقة مع تفاصيل أكثر، يُمكن الرجوع مثلا إلى موقع بي بي سي عربي، تحت عنوان "تعرّف على دير الزور"، تجدونها عبر هذا الرابط ، آخر زيارة ٢٠٢٠/١/٢٥.
[٨] بالإمكان الحصول على إحصائيات عامة عن دير الزور، وفي مجالات مختلفة، من المكتب المركزي للإحصاء عبر الرابط.

والعشائرية متأرجحة، فمثلا لم تجد الأحزاب السياسية التي تصف نفسها بـ "التقدّمية" كالحزب الشيوعي، والأحزاب القومية كحزب البعث والذي يُجاهر بعدائه وتهكّمه من البنى المجتمعية التي يصفها في أدبياته بـ "الرجعية" سهولة في اختراقها، فيعتبِر حزب البعث الحاكم في سوريا منذ انقلاب العام ١٩٦٣ "الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية...وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية"[٩]. حيث يورد الباحث عبد اللّه حنا كيف أنّ جلال السيّد أحد مؤسّسي حزب البعث وهو من أبناء دير الزور وينتمي لقبيلة الخرشان "دخل معترك السياسة باسم حزب البعث العربي ضدّ العشائرية في دير الزور" ويتحدّث عن السيّد وكيف أنّه استطاع أن يحظى بدعم شيخ عشيرة الخرشان على الرغم من أنّه ليس وجيها في العشيرة، وهكذا استطاع الفوز بالنيابة لعام ١٩٤٩ مرشّحا عن الخرشان، ليصير بذلك أول نائب بعثي في المجلس النيابي، لكنّ حنا يعود ليقول بأنّ "هذا الأمر أدى إلى تأثر البنية التحديثية لحزب البعث في دير الزور بالوضع العشائري...وهذا يُعطي فكرة، كيف أخذ يتمفصل البنيان العشائري، مع البنيان الحزبي الحديث"[١٠].

ونظرا للحالة العشائرية في دير الزور فإنّ الأحزاب السياسية حاولت أن تتغلغل فيها لتكسب موالين لهم في تلك التجمّعات البشرية ذات الأثر الكبير في تلك المساحات الجغرافية الشاسعة، لكن ما حصل كان العكس فلأجل أن تتغلغل الأحزاب في البُنى العشائرية تلك وكسب جانبها، أبقت على الولاءات العشائرية وعلاقاتها دون أن تنتقدها بشكل واسع وراديكالي كما في مثال حزب البعث الحاكم الذي كان يمتلك الأدوات الضرورية للضغط عليها، وكان من نتائج هذه السياسات أن استمرّت الولائات العشائرية حتى وإن تغيّر شكلها بين أبناء العشائر نفسها، فـ "الجماعات السياسيّة بغض النظر عن آرائها السياسيّة غالبا

ما تكوّنت من خلال قنوات اجتماعية تقليدية، والعامل الأخير بالأخص كان مسؤولا إلى حدّ كبير عن استمرار وجود الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية"[١١].

[٩] المادة الخامسة عشرة من دستور حزب البعث الاشتراكي من نسخة قديمة نشرها إبراهيم عبيد، يقول بأنّها موجودة لديه منذ العام ١٩٥٤، تجدها في الرابط التالي، آخر زيارة ٢٠٢٠/٢/٢.

[١٠] صفحات من تأريخ الأحزاب السياسية في سوريا القرن العشرين وأجواؤها الاجتماعية، عبد الله حنّا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط ١ ٢٠١٨، الدوحة، قطر، ص ٨٢.

[١١] الصراع على السلطة في سوريا/ الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة، د. نيقولاوس فان دام، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط ١ ١٩٩٥، ص ٣٧.

العشائر في دير الزور وخريطة تورّعها

عشيرة العقيدات (العكيدات)[١٢]

تعدّ عشيرة العقيدات (قبيلة العقيدات) أكبر القبائل / العشائر في دير الزور وتتألف من عدة عشائر رئيسية وفرعية، ومن بين أبرزها؛ لبوجامل، البوجمال، والشعيطات، وكذلك من عشائر البكيّر، شويط ، بوخابور، قرعان، بو حسن، بو رحمة، الدميم، الحسون، البومريح، مشاهدة (وتعدّ المشاهدة من العشائر المتحالفة مع العقيدات، إلا أنّها تعدّ عشيرة مستقلّة).

وتنتشر هذه العشائر بريف دير الزور الشرقي على ضفتي نهر الفرات شامية وجزيرة (غرب وشرق نهر الفرات)، وحتى مدينة البوكمال، وبريف دير الزور الشمالي من بلدة البصيرة جنوبا وحتى ناحية الصور شمالا.

ويمتدّ العمق العشائري للعقيدات إلى ريف حمص وريف دمشق وريف حلب وفي العراق ودول عربية أخرى، ومع أنّهم كانوا في بدايات القرن العشرين نصف رحّل، إلا أنّهم مستقرّون ولا يزال قسم منهم يرتحلُ موسميا.

وعن سبب التسمية فهناك من يقول أنّ جدهم الأعلى، نشأ في نجد في بلدة عقدة بحائل في شبه الجزيرة العربية، بينما يذهب رأي آخر بأنّهم سمّوا بذلك نسبة إلى عقد العقدة؛ أي "عقد عقدته" لتكون هذه العشائر على صيحة واحدة، وذلك كما يُقال عند البدو، حيث أنّ لكل عشيرة صيحتها تكون باسم أحد نسائها ينتخون بها، فيُقال "إخوة هدلة" و"إخوة جوزة" " إخوة صبحة " وغيرها من الصيحات التي تتميّز بها كل عشيرة، ضدّ من يغزوها أو تكون صيحة حرب وقتال.

وقد ساهمت عشائر ومناطق أخرى أبرزها عشيرة البوخابور التي تقطن بالنسبة الأكبر غرب الفرات " الشامية " في محاربة الفرنسيين , هذه العشيرة التي تتألف من بومعيط , بو عمر , بوحليحل وهذه الأفخاذ تنتشر في عدة قرى مجاورة في غرب الفرات كتواجدهم في مدينة موحسن وبلدة البوعمر والمريعية ,ولعشيرة البوخابور تاريخ معروف في مقاومة الفرنسيين , بل وإنّ أبرز الحوادث التي ترتبط باسم هذه العشيرة هي حادثة حرق الطائرات الفرنسية في مطار ديرالزور العسكري في أوائل القرن العشرين , كما أن لأبناء البو خابور حضور كبير في الثورة السورية منذ عام ٢٠١١ حيث تواجدوا في معظم

[١٢] تم جمع المعلومات من مصادر عشائرية محلية، عن طريق الباحثين الميدانيين، كما تمت مقاطعة المعلومات مع عدّة مصادر، فيمكن الرجوع مثلا إلى بحث بعنوان (أبناء العشائر في دير الزور) من إعداد فيصل دهموش المشهور من إصدارات منظمة العدالة من أجل الحياة، تجدها في الرابط. وإلى بحث بعنوان (دير الزور مشروع رسم تفصيلي للعشائر) وهو بحث منشور بالإنكليزية بإعداد مشترك من قبل نيكولاس أ.هيراس، وبسام باربندي، ونضال بيطار، وبترجمة مروان زكريا، لمركز حرمون للدراسات المعاصرة، تجدها في الرابط.

البقع الجغرافية الديرية وخصوصاً مركز مدينة ديرالزور وشاركوا بشكل كبير في الحراك السلمي منذ بدايته وقتل العشرات منهم في المعارك التي دارت ضد نظام الأسد في مدينة ديرالزور وأبرز تلك المعارك ما هو معروف لدى أبناء ديرالزور بملحمة الرصافة والتي راح فيها نخبة مقاتلي مدينة موحسن وقراها.

انشق العشرات من أبناء عشيرة البوخابور عن نظام الأسد في تلك الحقبة وفضلوا الإنضمام للشعب السوري في ثورته وساهموا في تشكيل العديد من الكتائب والألوية ومن ثم تنظيمها لاحقاً ضمن مكوّن المجلس العسكري لديرالزور والذي تزعمه العقيد المنشق مهند الطلاع .

ومن العشائر الأخرى هي عشيرة البكيّر (العنابزة) من العقيدات بمحاربة الفرنسيين، ويبلغ عدد البوجامل من العقيدات في الريف الشمالي حوالي ٦٠٠ ألف نسمة بحسب إحصائيات عشائرية تقريبية غير رسمية، وشاركت عشائر العقيدات بتأسيس "الجيش الحر" وكانت أولى ألويتها لواء جعفر الطيّار، وشاركت في المظاهرات السلمية في البداية عبر شباب العشائر، قبل أن تساهم في تأسيس "الجيش الحر" ولم ينخرط شباب العشيرة تقريباً بحسب شهادات الباحثين الميدانيين في تنظيم داعش فمثلاً هناك حوالي مائة مسلّح للتنظيم المتشدّد، بينما انخرطوا في الحرب ضدّ التنظيم وبخاصة بعد سيطرة قوات سوريا الديمقراطية مدعومة من التحالف الدولي على الريف الشمالي، حيث انخرط ما نسبته أكثر من ثمانين في المائة في هذه المعارك

فيما يبلغ تعداد عشيرة الشعيطات والمتمركزة في ثلاث مدن رئيسية هي (أبو حمام، وغرانيج، والكشكية) من حوالي ١٥٠ ألف نسمة وذلك أيضا حسب الإحصاءات غير الرسمية، وقد انتسب أكثر من ١٥٠٠ من شباب هذه العشيرة لقوات سوريا الديمقراطية، حتى تحرير المناطق من التنظيم حيث أنّهم تركوا في معظمهم صفوف "قسد" بعد انتهاء المعارك، ليبقى اختياريا حوالي ٥٠٠ مقاتل.

عشيرة البقّارة (البكارة)[١٣]

تعدّ عشيرة البقّارة (**البكارة**) إحدى أكبر العشائر في سوريا وثاني أكبر العشائر في ديرالزور، وتندرج تحتها مجموعة عشائر، وهي بهذا المعنى قبيلة، كما أنّ لهم عمقا عشائرياً في العراق والأردن أيضا، وتتراوح أعدادهم ما بين ٧٠٠ إلى ٨٠٠ ألف حسب إحصاءات عشائرية غير رسمية، منهم أكثر من ٤٥٠ ألف نسمة في الريف الغربي وحده، ، ويعدّ الشيخ نواف راغب البشير شيخا للعشيرة، كما يعدّ حاجم البشير أيضا أحد شيوخ العشيرة في الريف الغربي، ومن وجهاء العشيرة يمكن ذكر (نجم السلمان وخلف الأسعد ومحمد عبد اللّه الجيلات وعويد السليم).

[١٣] تم جمع المعلومات من مصادر محلية عبر الباحثين الميدانيين، ومن قراءات متعدّدة منها تلك التي أوردناها في الحاشية السابقة.

ومن العشائر التي تندرج ضمن عشيرة البقّارة؛ العابد، العبيد، ضنا سلطان، معرة، البو سلطان، عبيدات، المشهور، الجلامية، بو مصعب، بو معايش، عليان، حمد عبيد، بو عرب، بو بردان.مناطق إقامتهم بريف دير الزور الغربي (جزيرة) من مدينة دير الزور إلى ناحية الكسرة، وبريف دير الزور الشرقي من مدينة دير الزور وحتى بلدة الخشام.

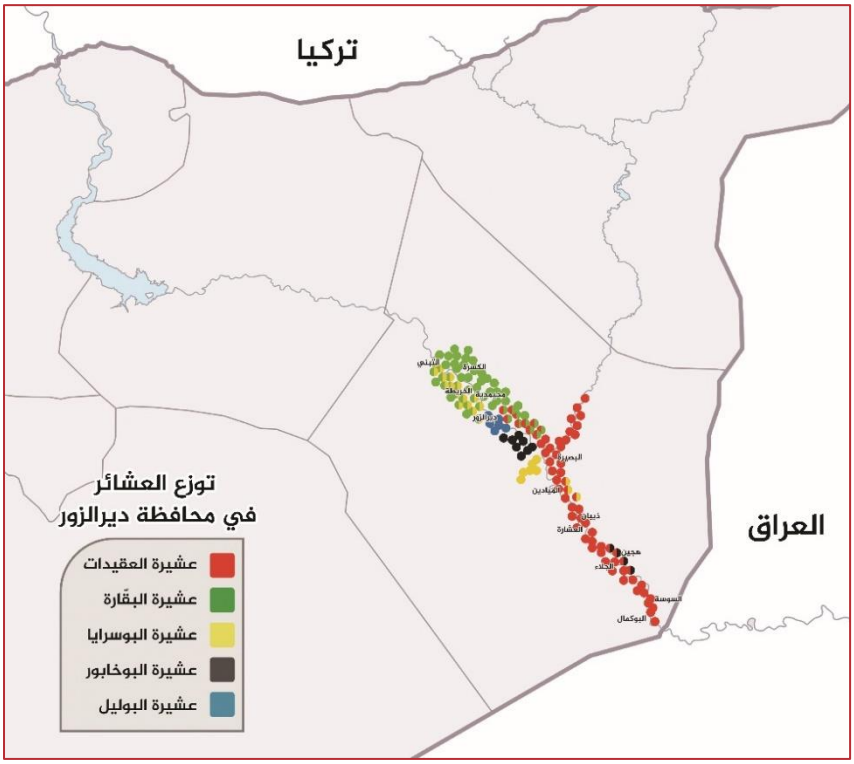

ويتورّعون في ناحية الكسرة بريف دير الزور الغربي وقرى؛ زغير جزيرة، العلي، سفيرة، جزرة البوحميد، حوايج ذياب، حوايج البرمصعة، الصعوة، الحسينية، محيمدة. أما في ريف دير الزور الشرقي فيتورّعون في قرى؛ جديد بقارة، مراط، مظلوم، طابية، الدحلة.

ولعشيرة البقّارة دور بارز في محاربة الفرنسيين إبّان انتدابهم على سوريا، إلى جانب عشائر أخرى، كما أنّ أبناء هذه العشيرة قد شاركوا في المظاهرات السلمية منذ بداية الاحتجاجات السورية ٢٠١١، وبخاصة في مناطق الكسرة، والحصان، ومحيميدة، والكبر، كما شاركوا في المعارضة المسلّحة ومن كتائبهم في "الجيش الحر"؛ شهداء بدر، أحرار البقّارة، جنود الحق، وكتائب وألوية أخرى , حيث كان لهم دور مهم في السيطرة على مناطق في ريف دير الزور الغربي (جزيرة) بتوجيه شيخهم السابق نواف راغب البشير.

وإبان سيطرة تنظيم داعش على المنطقة لم ينتسب وينخرط الكثير من أبنائها في التنظيم المسلّح، فيما يُشير رجال عشائريون إلى أعداد لا تتجاوز مائتي مسلّح، بينما يُشيرون إلى انخراط ما يُقارب من سبعة آلاف مقاتل منهم إلى قوات سوريا الديمقراطية أثناء محاربة داعش بدعم من التحالف الدولي.

ومن العشائر الأخرى التي تقطن في دير الزور عشيرة البوسرايا والتي تتمركز في قرى؛ عياش، البغيلية، الخريطة، الشميطية، المسرب، العنبة، البويطية، الطريف وذلك في ريف دير الزور الغربي، وفي بلدة بقرص بريف دير الزور الشرقي، وقرية الشولا بريف دير الزور الجنوبي الغربي.

وعشائر البوخابور والتي يقطن البوحليل منهم في بلدة موحسن، والبومعيط في قرية المريعية، والبوعمر في قرية العبد، وعشيرة البوليل وتسكن في قريتي الطوب والقطعة.

العشائر في دير الزور وعلاقتها مع القوى العسكرية

(تشكيلات وفصائل "الجيش الحر"، تنظيم "داعش"، نظام الأسد، قوات سوريا الديمقراطية "قسد")

تشكيلات وفصائل "الجيش الحر"[١٤]

شارك أبناء العشائر في دير الزور منذ بداية الاحتجاجات في الحراك السلمي ضد نظام الأسد الأمني والسياسي ، ومن ثمّ انتقل هؤلاء بعد تحوّل الاحتجاجات إلى التسليح وساهموا بتأسيس "الجيش الحر" وكان لهم دور كبير في السيطرة على مناطق واسعة من دير الزور.

وكان أبناء العشائر يحافظون على خصوصيتهم في هذه التشكيلات غالباً، حيث أنّهم ساهموا في معظمهم من القتال في مناطقهم، حيث كانوا يحاولون إزاحة السيطرة العسكرية لقوات الأسد، وتأمين أماكن سكناهم والحصول على واردات النفط والغاز عبر السيطرة على الآبار في محيطها والاستفادة منها اقتصاديا لدعم وتقوية عشائرها.

وشاركت تشكيلات وفصائل "الجيش الحر" في معارك عديدة ضد نظام الأسد، فقد تم تشكيل لواء القادسية في مدينة البصيرة على يد إبراهيم العطية أبو بكر، من أبناء عشيرة البكيّر، والذي شارك في معارك كثيرة في دير الزور الريف والمدينة، كما تم تأسيس لواء الأحواز على يد فهد العبد اللّه الذي قُتل في معركة الحلبية ليخلفه في قيادة اللواء إسماعيل العبد اللّه الذي قتل لاحقاً بعد استهداف داعش له بزرع عبوة داخل سيارته وكان ذلك في ١٦ يناير ٢٠١٩، وكان هذا اللواء أول من قاتل تنظيم داعش في قرية بريهه.

غرب الفرات المعروف بالشامية كان له دور بارز في تلك الحقبة في التصدي لنظام الأسد بدءاً من البوكمال وصولاً إلى أطراف مدينة ديرالزور, ففي البوكمال تشكلت العديد من الكتائب والألوية التابعة للجيش الحر وكما ذكرنا أبرزها كان لواء اللّه أكبر, كذلك الأمر في صبيخان كان للواء جعفر الطيار حضور واسع وفي العشارة تشكل لواء بشائر النصر الذي ينتمي لأبناء العشائر في المنطقة , ذات الأمر في القورية ومحكان والميادين ومعظم مدن وبلدات ريف ديرالزور الشرقي " الشامية "

[١٤] تم جمع المعلومات من الباحثين الميدانيين الذين استقوا المعلومات من أبناء المنطقة.

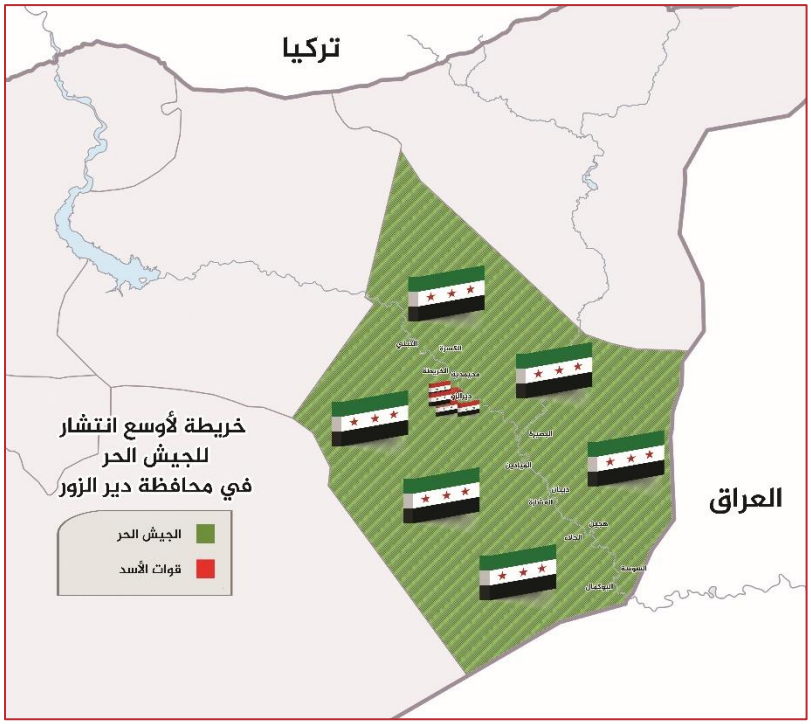

وفي شرق الفرات " الجزيرة " تشكّل كذلك "جيش حطين العسكري" الذي قام بتشكيله المقدّم محمد العفيش من عشيرة الشلاهمة، وكتيبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي على يد عشيرة الكلعيين يوسف جار اللّه، والتي شاركت بالسيطرة على مناطق من قبضة نظام الأسد.

وتم تشكيل كتائب بلال الحبشي على يد فهد العصمان ومشاركة الرائد احمد الكلش بتشكيل كتائب معاوية ليصبح الرائد أحمد بعد ذلك المتحدث الرسمي للواء القادسية.

وفيما يتعلق بعشيرة البكيير فإن تشكيل العديد من الألوية كلواء القادسية ولواء الأحواز و"جيش زلزال البكيّر" كان الهدف منه لاستقطاب أبناء البكير المتواجدين في حريزة والتوامية والقرى الواقعة على خط الصور الغربي، وتم تشكيل كتائب الصدّيق منذ بداية تواجد "الجيش الحر" على يد يوسف الدحلة المعروف بـ أبو الصديق، وشاركت بمعارك ضد قوات الأسد فيما عرف بـ "معارك حاجز المعامل/ حاجز الـ ٧ كم، والأمن السياسي".

تم تشكيل كتائب معاوية على يد الملازم نمر أبو خضر، لتشارك فيما عُرف بـ "معركة تحرير المعهد الصناعي بدير الزور" في مواجهة النظام السوري، وشاركت هذه الكتائب أيضا في الوقوف بوجه تنظيم داعش حيث قتل نمر هناك بعد اعتقاله، كما تم تأسيس كتائب القصاص.

وقد أسّس شباب من عشيرة الشعيطات والشحيل لواء جعفر الطيّار أوائل الألوية التابعة لـ "ألجيش الحر" كما أسسوا لواء ابن القيّم، وكذلك عدة ألوية أخرى وهي؛ لواء الأمة، كتيبة الحمزة، كتيبة ثوّار الشعيطات، كتيبة أحفاد عائشة، كتيبة الشهيد أحمد الذاكر، جيش العسرة، جبهة الجهاد والبناء، كما ساهموا في تشكيل الفرقة الثالثة مشاة، حيث قُدّر أعدادهم حينها بحوالي ٣٥٠٠ مقاتلا.

كما تشكّلت كتائب لـ "الجيش الحر" من عشيرة البقّارة مثل كتيبة شهداء بدر، وأحرار البقّارة، وجنود الحق، حيث أصبحت فيما بعد ألوية عسكرية تابعة لـ "الجيش الحرّ"، وخاضت هذه التشكيلات منذ

بدايتة إعلانها معارك ضد نظام الأسد، وسيطرت على مركز ديرو للنفط، وعدّة مخافر في الريف الغربي والسيطرة كذلك على مركز ناحية الكسرة والهجوم على القاعدة الصاروخية في الكبر، وشاركت أيضا في السيطرة على اللواء ١١٣، وكذلك الهجوم على عدة حواجز كحاجز دوار الحلبية وحاجز المعامل، وتقدّر أعداد كل تشكيل عسكري من ١٥٠ إلى ٢٠٠ مقاتل.

تنظيم "داعش"

كان لدخول تنظيم داعش مناطق العشائر أثر كبير في قلب موازين القوى، لأنّ التنظيم وضع نُصب أعينه الاستئثار بكلّ شيء؛ بمصادر الثروة والسيطرة الإدارية والعسكرية وكلّ شيء، وكان لذلك انعكاس على أرض الواقع إذ أنّ العشائر كانت قد استأثرت بمصادر يستطيعون معها العيش بحياة كريمة، وهي المصادر النفطية التي كان نظام الأسد يستأثر بها وسط حالة الفقر في الأوساط الشعبية العشائرية.

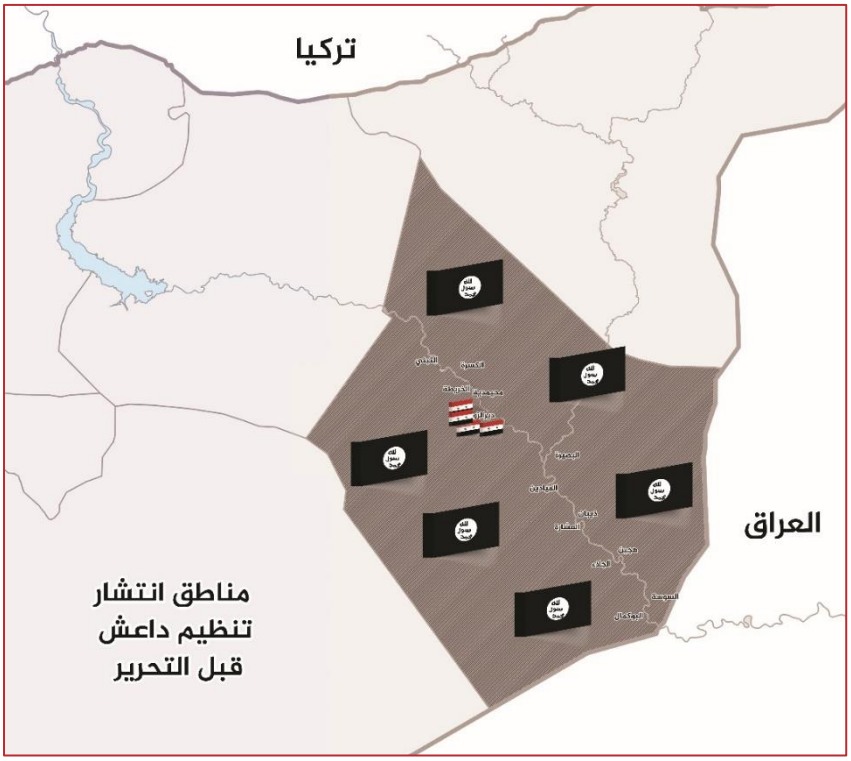

عسكريا كانت العشائر منقسمة إلى كتائب منخرطة في إطار "الجيش الحر" وقسم منها منخرط مع وحدات الجيش السوري، وأعداد أقل في صفوف تنظيم داعش، ويرى أبناء العشائر أن التنظيم المتشدّد قام بتهميش دور العشائر، وأنّ (السبب الأهم في فشل داعش وغيرها من التنظيمات الجهادية في استقطاب العشائر، هو العلاقة التي نشأت على أساس هيمنة الأول على الثاني ومطالبته بتفكيك بنيته لحساب الأول،

وهو أمرٌ لا يناسب أبناء العشائر الذين يفتخرون برابطة الدم فيما بينهم، ويعتبرونها عامل استقرار لمجتمعاتهم المحلية)[١٥].

فيما يرى البعض الآخر أنّ (تنظيم "داعش" وبحكم تجربته العراقية، ووجود بعض أبناء العشائر في صفوفه. كان الأقدر على قراءة خارطة الفصائل العسكرية والواقع العشائري المتشظّي في الشرق، وكان الأكثر بذلا للمال من أجل بناء تحالفات عسكرية – عشائرية سرية وعلنية)[١٦].

ويقول أبناء عشيرة الشعيطات على سبيل المثال أنّ ما يقارب من مائة شخص من العشيرة فقط انتسبوا لتنظيم داعش، وإذا ما علمنا أنّ الشعيطات والتي تمثّل حوالي ١٥٠ ألف نسمة بحسب إحصاءات عشائرية، فإنّ هذه النسبة تمثّل أقل من واحد في المائة.

قوات سوريا الديمقراطية "قسد"

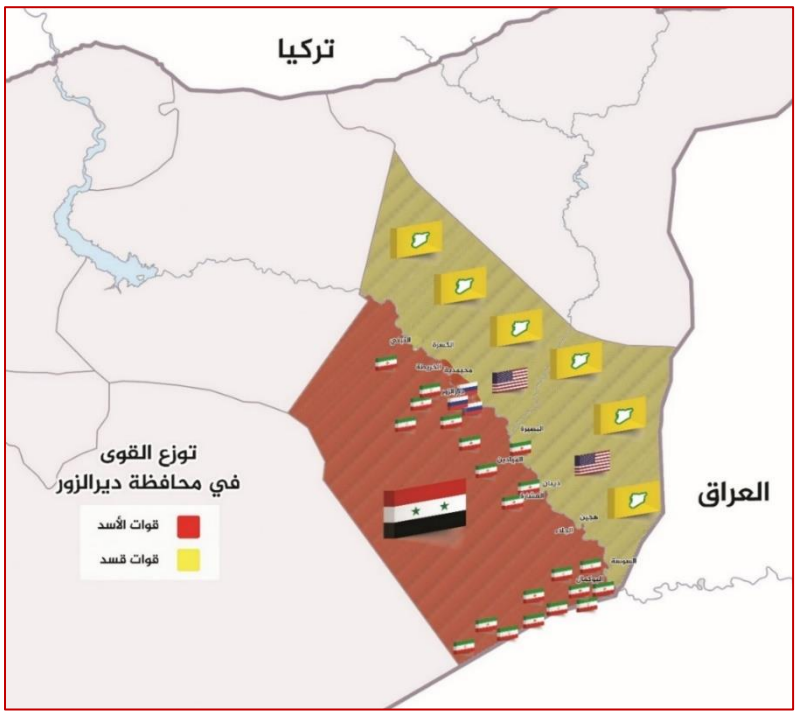

حين أعلنت قوات سوريا الديمقراطية عن إطلاق حملة عاصفة الجزيرة في العاشر من أيلول لعام ٢٠١٨ بدعم من التحالف الدولي انخرطت الكثير من القوى العشائرية في صفوف قوات سوريا الديمقراطية، حيث بلغ تعداد العشائر من المشاركين في الحملة ضد التنظيم أكثر من ثمانين في المائة، وكان للعشائر دور في تحرير خط "الجزيرة" من داعش، وشارك ما يُقارب من ألف وخمسمائة مقاتل من أبناء الشعيطات في المعارك ضد تنظيم داعش،

[١٥] مقالة بعنوان (داعش والعشائر في دير الزور، التمرد والاحتواء)، محمد حسان، موقع الجمهورية، آخر زيارة ٢٠٢٠/٢/٥، تجدونها على هذا الرابط.

[١٦] بحث بعنوان (أبناء العشائر في دير الزور) من إعداد فيصل دهموش المشهور من إصدارات منظمة العدالة من أجل الحياة، تجدها في الرابط.

وكان من أبرز القياديين؛ محمد الجبر أبو جبر الشعيطي، أبو حديشه الملقب خابت الشعيطي، أبو الحارث الشعيطي، ولا تزال هناك نسبة من أبناء عشيرة البقّارة في صفوف قوات سوريا الديمقراطية، كما أنّ المشاركين في صفوف قوات سوريا الديمقراطية من أبناء العشائر عامة وصل إلى ٧٠٠٠ مقاتل.

وبعد تحرير آخر معاقل تنظيم داعش في الباغوز في آذار/ مارس، سيطرت بموجبها قوات سوريا الديمقراطية على مساحات شاسعة من محافظة دير الزور، على الضفة الشرقية من نهر الفرات الذي يقسّم دير الزور إلى منطقة شرقية تُسيطر عليها وغربية يُسيطر عليها النظام السوري مُضافا إليها بلدتا البوكمال والميادين. إلا أنّ قوات سوريا الديمقراطية (تعترف في اجتماعاتها الخاصة، بصعوبة السيطرة على دير الزور، والتي تمتلك ١٨٠٠٠ مقاتلاً في الكسرة وهجين وصور والشدادي، غالبيتهم من العرب)[١٧].

وتحاول قوات سوريا الديمقراطية العمل مع القوى العشائرية المختلفة، إلا أنّ فهم الخريطة العشائرية والتعامل معها يبدو أصعب في الواقع العملي، وبخاصة أنّ القيادات العشائرية ليست كلّها متواجدة في تلك المناطق المحرّرة من تنظيم داعش، فهناك قيادات متواجدة في تركيا وأخرى في مناطق سيطرة نظام الأسد، والبعض في مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية، ويبدو أنّ (الإدارة الذاتية اختارت العمل عن طريق شيوخ القبائل، بدلاً من المهنيين المثقّفين)[١٨].

العشائر في دير الزور وحركة التشيّع

تعدّ محافظة دير الزور مع عمقها الريفي ذات غالبية عربية، حيث ينتمون إلى المذهب السنّي، وهم يميلون إلى الاعتدال بشكل عام، وأما بالنسبة إلى الشيعة أو حركة التشيّع فهي حركة ليست جديدة تماما، فقد بدأ جميل الأسد في العام ١٩٨٢ بتأسيس جمعية المرتضى (ودعى شيوخ العشائر السورية إلى مقرّ الجمعية في مدينة القرداحة، وطلب تعاونهم مع أنشطتها التبشيرية. وعُين ياسين معيوف، رئيساً لفرع الجمعية في قرية حطلة...والتي اعتنق ١٠ في المائة من أبنائها المذهب الشيعي من مجموع السكان البالغ عددهم ٣٠ ألف نسمة)[١٩]. أغلقت الجمعية أواسط الثمانينات بأمر من حافظ الأسد.

[١٧] دير الزور التحدي الأبرز الذي يواجه قسد، مقالة بالإنجليزية، فلاديمير فان، ترجمة سوز حج يونس، نشرها موقع ولاتي نيوز، تجدها في الرابط.
[١٨] الصراع الكردي-العربي على النفوذ في شمال شرق سورية، إليزابيث تسوركوف، عصام الحسن، لمركز كارنيغي للشرق الأوسط الرابط.
[١٩] بحث بعنوان (زمن الشيعة: حقائق وأرقام عن التشيع في سوريا) أ.د. خالد سنداوي، آخر زيارة ٢٠٢٠/٢/٥، بالإمكان قراءة البحث على الرابط.

في منطقة دير الزور، وبلدة حطلة والقرى المجاورة لها، تم بناء ما لا يقل عن ست حسينيات مؤخراً. وهناك أيضاً العديد من الحسينيات في القرى المحيطة. ويتم شراء الأرض التي تبنى عليها الحسينية بمبالغ باهظة كحافز لأصحابها ولغيرهم من ملاك الأراضي.

وأهم القبائل والقرى المتشيّعة هي بحسب أ.د. السنداوي بلدة حطلة قرب مدينة دير الزور وهم من عشيرة البوبدران والتي يربطها حلف مع عشيرة البقّارة كما أنّهم أبناء عمومة، التي تدّعي أنّ نسبها يعود إلى محمد الباقر من آل البيت مما سهل مهمة الشيعة عندهم[٢٠].

ولسيطرة قوات الأسد المدعومة إيرانيًا وروسيًا على المناطق الغربية من نهر الفرات دور في تسهيل المهمّة في بسط السيطرة العقائدية لإيران، وإيجاد موطئ قدم شعبيا في تلك المناطق، تساعدها على مدّ نفوذها ونفوذ الطريق البرية لها من طهران مرورا بالعراق وسوريا وحتى لبنان، ونظراً لوجود عوائق جيوسياسية أمام هذا المشروع فإنّ الطريق الأسلم في نظر إيران هو العودة إلى مربّع تصدير التشيّع وبخاصة في مناطق سبق العمل عليها، وتجد ذلك ممكنا وإن كان صعبا، حيث أنّ العشائر السنّية مذهبا، والمعروف بتبنّيها إسلاما معتدلا لا تتقبّل فكرة تبنّي المذهب الشيعي.

وكان للعائدين من دول الخليج من المغترب، وبخاصة أولئك العائدين من السعودية دورٌ في صدّ التشيّع أو تصليب الموقف العشائري والمجتمعي ضدّه، وذلك في سبيل نشر فكر سلفي عوض عن ذلك، إلا أنّ موقف نظام الأسد المُتساهِل مع نشر حركة التشيّع والمُساهِم به لدرجة ما، في مقابل رفضه لنشر الفكر السلفي، قوّض نشر الفكر السلفي في المنطقة، بينما لم تنجح حركة التشيّع لدرجة كبيرة في الانتشار بسبب صعوبة اختراق العشائر وتغيير قناعاتها.

استقطابات القوى الدولية (إيران – أمريكا – روسيا) في دير الزور

كان لتمركز الحرب الأخيرة ضد تنظيم داعش في دير الزور، وحشد الحرب ضد داعش وانطلاق الحملة العسكرية الأخيرة "عاصفة الجزيرة" من قبل قوات سوريا الديمقراطية بدعم مباشر ومكثّف من قبل التحالف الدولي وبشكل واضح وقوي من أمريكا دور في استقطاب دير الزور للقوى الدولية المختلفة، ففي شرق الفرات بشكل أساس أمريكا والتحالف الدولي، وغرب الفرات روسيا وإيران داعمين لقوات الأسد. وكانت زيارة قائد فيلق القدس اللواء قاسم سليماني لمدينة البوكمال نقطة فاصلة لتحوّل الصراع الأمريكي– الإيراني في دير الزور، حيث أنّ (إيران وسعت نشاطاتها في الآونة الأخيرة إلى مناطق شرق الفرات، وتعمل على تجنيد بعض الشباب في تلك المناطق، لافتاً إلى أنها تسعى لشق صفوف العشائر العربية على ضفتي نهر الفرات) وذلك سعيا منها للحيلولة دون بقاء العشائر العربية قرب

[٢٠] تجد معلومات أكثر تفصيلا في بحث الدكتور السندي السابق والذي نُشرت منه ثلاث حلقات.

التحالف الأمريكي–الكردي في المنطقة، حيث تُشير إحصائيات إلى أنّ هناك (ما يُقارب ألفي مقاتل ينتمون بشكل رئيسي إلى لواء فاطميون ولواء الباقر، الذي يقوده الشخصية العشائرية نواف راغب البشير)[٢١].

ويبدو أنّ أسباب إبقاء الولايات المتحدة لوجودها في سوريا وبخاصة في دير الزور يرجع لسببين رئيسيين، أولها هو سدّ الطريق أمام إيران للتمادي وقطع طرقها البريّة التي توصل طهران ببيروت، ويبدو أنّ مقتل اللواء قاسم سليماني كان ضمن هذا المسعى إلى جانب أهداف أخرى، وكذلك توفير بديل اقتصادي لحلفائها في قوات سوريا الديمقراطية، والحصول على النفط لتمويل العمليات العسكرية ضد داعش.

وكان لتغيّر خارطة القوى في نهاية العام ٢٠١٩، ومنها التفاهمات التركية الأمريكية والتركية الروسية، دور في تغيير نقاط التمركز، وأهمّها التحرّك الروسي باتجاه مناطق لم تكن متواجدة فيها في مناطق شمال وشرق سوريا، ودخول القوات الروسية إلى قواعد أمريكية أفرغتها القوات الأمريكية بعد قرار الرئيس الأمريكي ترامب بسحب قواته من سوريا.

وقامت قوات روسية بإنشاء مقرّات جديدة في المنطقة الواقعة بين مفترق طرق مدن البوكمال ودير الزور والميادين، وهي مقرّات مُشرِفة على حركة الدخول والخروج ما بين مدينتي الميادين ودير الزور،

بينما استولت قوات إيرانية على بعض المقرّات الإضافية وبعض المزارع على ضفاف الفرات بين البلعوم ونزلة المشروع.

وبينما توجد توافقات ضمنية بين القوات الروسية والأمريكية واتفاقات غير معلنة على مناطق النفوذ، فإنّ التوسّع الإيراني غير مرحّب به، وبخاصة أنّ تمظهرات عدم الترحيب هذا يتبدّى من خلال القصف الإسرائيلي المتكرّر والدقيق على مواقع إيرانية في مناطق تمركزها.

العشائرية ضمن توازنات القوى ومستقبل الملف العشائري في دير الزور

إنّ الحالة العشائرية في دير الزور متجذّرة في المجتمع لذلك فإنّ الحديث عن أيّ تأثيرات فيها سيكون حديثا عن تأثير في البنية الفوقية، فالقوى المؤثّرة هي قوى عسكرية وذات نفوذ أكبر من مجرّد مجتمعات تبدو بأنّها لا حول لها ولا قوة إزاء تحرّكاتها وتدابيرها لمصالحها الاستراتيجية، إلا أنّ هذا التأثير من الصعب أن يخترف البنية التحتية للعشائرية.

[٢١] حرب أمريكية ضد خلايا إيران في دير الزور، عبد الله رجا، مقال منشور في جريدة البيان الإماراتية، آخر زيارة ٢٠٢٠/٢/٥، يُمكن قراءة النسخة الإلكترونية عبر الرابط.

تُحاول العشائر في دير الزور العمل بمنطق مقدار الفائدة التي تعود على عشائرها، لكنّ استقطابات المحلّية (نظام الأسد، قوات سوريا الديمقراطية بشكل أساسي، والقوى الإقليمية والدولية (أمريكا، دول التحالف، روسيا، إيران) تحول دون لعب أدوارها بالشكل الذي تُريده.

لكن الأكيد أنّ كلّ القوى التي تُسيطر أو تؤثّر في دير الزور لا تستطيع تجاوز العشائر وتهميشها لأنّها تُعدّ البنية الأساسية للمجتمع هناك، تُحاول قوى كإيران اختراق العشائرية عبر توسيع قاعدتها عبر نشر التشيّع، ويُحاول نظام الأسد كسب الولاءات العشائرية بدعم بعض شيوخ العشائر واستمالتهم بقوة المال، كما تُحاول قوات سوريا الديمقراطية التعامل مع العشائرية كأمر واقع دون اقتناعها بالبنية العشائرية واعتبارها بنية رجعية.

إنّ التجربة العراقية ماثلة أمام الأعين سواء في الدور الذي لعبته العشائر بشكل إيجابي أو سلبي، وهي أمور نسبية ترجع إلى تقييم التجربة من زوايا عدة، وبخاصة ملفّ سلاح العشائر، ولأنّ الأحداث لا تزال جارية، فإنّ العشائر سيكون لها دور كبير سواء في الاستقرار، أو في تأجيج أي صراع مع أيّ قوة، وبخاصة أنّ العشائر أخذت بعض المكتسبات.

إنّ أحد عوامل نجاح أي قوة مسيطرة على دير الزور هو الاستقرار وهو شيء لن يتحقّق دون منح العشائر قدرة أكبر على التحرّك والممارسة الفعلية للسلطة المحلّية، لذا فإنّ القوى المسيطرة تُدرك هذه الحقيقة ومُجبرة على التعامل معها دوما.

تعدّ مسألة الاستقرار والتوازن الاقتصادي وإعادة إعمار المنطقة من أهم الملفات التي تواجه دير الزور وتقف عثرة أمام أي تقدّم، وهي ملفّات شائكة نظرا لتقاسم قوى متعدّدة بأجندات مختلفة للمنطقة، ويبقى لأبناء العشائر وبخاصة الطبقة المسيطرة، العمل بين حقل الألغام هذا بما يُفيد بقاءها.

ويبقى أن نُشير إلى أنّ الحديث عن الملفّ العشائري ليس حديثا عن حالة مجتمعية ناجزة منقطعة عن الحالة المدنية، إلا أنّها حديث عن البنية العامة وتوصيف للواقع الشكلي على الأقلّ، وهذا يبدو واضحا من الحراك الثقافي والمدني لمجتمع دير الزور وطبقة المتعلّمين والجامعيين والنخبة المثقفة، الذين ينتمون داخل مدنهم وقراهم إلى عشائرهم ويلتزمون معهم اجتماعيا بروابط وبعض العادات والتقاليد ويفترقون عنها بأمور كثيرة، لا تكون دائما ناسفة للقيم العشائرية التي اكتسبت مرونة مع الوقت، بل وأصبحت براغماتية في بعض الأحوال.

خاتمة/ توصيات ومقترحات

ختاما يُمكن استنتاج جملة أمور من خلال المعطيات التي تم تناولها في هذا البحث، وهي معطيات من الممكن أن تكون بدلالات مُختلفة بحسب جهة البحث وزاوية التناول، وذلك أنّ الملفّ العشائري ملفّ كبير وذو أبعاد اجتماعية سياسية، ولا يُكتفى بدراسته دون مُقاربة الموضوع بأدوات علم الإناسة، ولأنّ الحديث عن الحالة العشائرية هي عن دير الزور وفي توقيت مفصليّ ومفترق طرق وأجيج الأحداث لا يزال مشتعلا فإنّ الأمر سيكون له الكثير من الأبعاد والكثير من المتغيّرات المتسارعة والتي تُلقي بظلالها على الكثير من المواقف والتغييرات في موازين السيطرة.

ويرى الكاتب عبد اللّه الغضوي أنّ الدور العشائري وبخاصة في شرق الفرات أصبح نقطة ارتكاز في المشاريع السياسية، وفرصة تاريخية للقوى العشارية في الجزيرة السورية، وتؤسِّس (بالتعاون مع التحالف الدولي لبيئة طاردة للأفكار المتطرفة)[٢٢].

ومن خلال النظر عن كثب لواقع العشائرية في دير الزور يُمكن معرفة أنّ هذه البُنى المجتمعية هي من صُلب المجتمع السوري وغير طارئة عليه، وبالتالي لا يُمكن وصمها بالرجعية ولا بالتقدّمية لكن من الممكن تفكيكها على المستوى النظري ومحاولة موائمة خيارات صلاح المنطقة واستقرارها عبر دعم ملفات حسّاسة كالحريات والديمقراطيات مع خيارات العشائرية، وذلك أنّه لا يمكن نسفها.

إذن ثمة عشائرية لكنّها غير ثابتة، وغير مؤطرة، وهي أيضا كيان مرن بإمكانه أن يكون صالحا، كما بإمكانه أن يكون غير ذلك، وللمرونة هذه أن تعِد أبناءها بالكثير من الأمور التي ستعود عليها بالنفع والفائدة والاستقرار الاقتصادي والسياسي.

ثمة نماذج "تقدّمية" مُعادية للعشائرية والأفكار "الرجعية" لكنّها تحوّلت لدكتاتوريات كنظام البعث بجناحيه السوري والعراقي، وثمة نماذج "رجعية" عشائرية قبلية استطاعت تأسيس امبراطوريات من الرفاهية الاجتماعية، كدول الخليج، لكن الحال هنا ليس باقتداء النماذج وإنما باستخلاص فكرة مفادها أنّ الحالة العشائرية هي بنية مجتمعية لكنّها ليست كما هي في الحالة التنظيرية، والأدوار التي تلعبها العشائر مختلفة عما كانت عليه سابقا، بل اتسمت الآن بقدر كبير من المرونة والبراغماتية.

مقترحات وتوصيات لصنّاع القرار والقوى المختلفة:

[٢٢] حول دير الزور ودور العشائر، مقال رأي، عبد الله الغضوي، مركز السياسات الدولية، آخر زيارة ٢٠٢٠/٢/١، بالإمكان قراءة المقال عبر هذا الرابط.

- القوى العشائرية ليست طارئة ولا حديثة النشأة لذلك هي تمثّل بكلّ تغيّراتها صيرورة مجتمعية.
- العشائرية اليوم هي حقيقة قائمة وعلى جميع القوى وصنّاع القرار معاملتها بمنطق الاحترام ومبدأ الحق والواجب وإزالة الجوانب السلبية التي تضر بأمن وسلامة الأفراد أو تصب في زعزعة استقرار أبناء المنطقة و بما لا يتعارض مع الحقوق الأساسية للأفراد
- على القوى المُسيطرة الكفّ عن التعامل مع العشائر والعشائرية كمطية لتنفيذ أجنداتها، ومحاولة العمل على الهموم والمشكلات الحقيقية لهذا المجتمع.
- دير الزور هي خزّان اقتصادي وبالتالي هي عُرضة للكثير من المتنافسين، الذين ليس عليهم القفز فوق الكتلة البشرية التي تحتضن هذه الثروات.
- العمل على المشاريع التنموية في دير الزور وبخاصة إعادة تأهيل البنية التحتية.
- عدم الاكتفاء بالتعامل مع شيوخ العشائر وحدهم وكأنّهم الممثل الوحيد لسكان وأهالي المنطقة، والالتفات إلى أبناء العشائر من أصحاب الكفاءات والفعاليات المدنية بما يخدم الصالح العام و الفائدة الأكبر لجميع اهالي المنطقة ويلبي احتياجاتهم الحياتية والتي تستطيع هذه النخب المساعدة في تحقيقها بشكل أفضل.
- عدم استغلال العشائر لنشر أو تقويض مذهب ديني أو تيار فكري، والتركيز على إشاعة التعليم وبخاصة في المناطق التي تم تدمير البنية التحتية فيها وبخاصة في قطاع التعليم.

– فشل التجارب مع ملف العشائر في دول الجوار يجب ألا يتكرر في محافظة ديرالزور وشمال شرق سوريا ويجب أن يكون درساً لفهم حيثيات التعامل مع المكونات المجتمعية وفهمها بالشكل الصحيح خارج العقليات المدرسية والتي تفترض الكثير من المغالطات بحق هذه المكونات.

– جميع السكان في المناطق التي تعيش النزاعات، لديها أولويات أساسية، الامان والخدمات الأساسية والاكتفاء الاقتصادي ومن يحقق لها هذه الأمور سيستطيع أن يكسب دعم جميع اهالي المنطقة في جميع الجوانب.

كافة الحقوق محفوظة لشبكة ديرالزور24 ومنظمة سام للتنمية

© 2020